

حديث جلالة الملك لجريدة «أيل بايس»

أدلى صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني، بحديث للصحفية الإيطالية «أولغابيسيرا» نشرته صحيفة «أيل بايس» الاسبانية، تحدث فيه جلالته عن مؤتمر السلام حول الشرق الأوسط ودور الدول العربية فيه. كما أكد فيه العاهل الكريم أن المغرب هو الذي طالب بالاستفتاء سنة 1964 ومتمسك به لكي يبين أن مزاعم خصومه هي من قبيل الكذب والبهتان. ومن جهة أخرى، أبرز جلالته أن الدول المتوسطية تشكل أفضل جسر بين المغرب العربي وأوروبا الموحدة.

فيما يلي نص هذا الحديث الهام :

سؤال :

هل كان الإتصال الهاتفي الذي أجريتموه من واشنطن مع ياسر عرفات خلال انعقاد الدورة الأخيرة للمجلس الوطني الفلسطيني في الجزائر حاسما في تحريك الوضعية؟

- جواب جلالة الملك :

لاأعتقد أن مكالمتي الهاتفية كانت حاسمة في اتخاذ القرار الفلسطيني إلى الحد الذي يعتقد. وعلى كل حال، لم أتحدث شخصيا عبر الهاتف مع الرئيس عرفات. وقد كلفت مستشاري في الديوان الملكي بالاتصال به انطلاقا من واشنطن، ومن الأكيد أنها كانت المرة الأولى التي يتحدث فيها الرئيس بوش رسميا وهو يستقبل رئيس دولة عربية وأمام الصحافة الدولية عن القرارين 242و 338ولكن أيضا عن حقوق الشعب الفلسطيني. وأعتقدت أن ذلك يشكل التزاما رسميا من طرف الرئيس بوش. وبما أن صداقتنا تعود إلى زمن طويل، فهمت أن ذلك يشكل خطابا له مغزاه. لذلك كلفت مستشاري بالاتصال بالرئيس عرفات ليقول له؛ هاهي الفرصة تتاح وأتمنى ألا تفوتها. وبناء على ذلك الله وحده يعلم ما إذا كانت مكالمتي الهاتفية حاسمة إلى الحد الذي يعتقد.

سؤال :

صاحب الجلالة ماهو الدور الذي قام به المغرب في مسلسل السلام ؟

جواب صاحب الجلالة :

إن لكل البلدان العربية دور هام في مسلسل السلام سواء منها البلدان المجاورة لإسرائيل أو التي ليست مجاورة لها. هناك بالطبع بعض البلدان معنية أكثر من الأخرى كسوريا ولبنان والأردن والفلسطينيين، ولكن ينبغي أن يكون لها سند قوي ومتضامن معها. فالمعارك الدبلوماسية كالمعارك العسكرية؛ إذا لم يكن هناك عمق استراتيجي وسند ودعم، فإن الإنتصار لا يكون مضمونا.

سؤال :

بصفتكم يا صاحب الجلالة رئيس لجنة القدس وسبط الرسول، ما هي مهمتكم في مسلسل السلام بشكل خاص وملموس ؟



جواب جلالة الملك :

إن النزاع الإسرائيلي العربي قائم منذ أربعين سنة ونيف، ولكن منذ سنة 1967 انضاف إلى النزاع الإسرائيلي العربي نزاع إسرائيلي إسلامي بعد إحتلال القدس. وانطلاقا من ذلك، من المؤكد أن قضية القدس تهم البلدان الإسلامية كافة وليس فقط البلدان العربية. فهذه القضية تهم قرابة المليار ومائتي مليون شخص. وبصفتي رئيس لجنةالقدس لا أقول أن لي دورا خاصا يتوجب علي القيام به، ولكن تقع على عاتقي مع ذلك مسؤولية خاصة باسم جميع البلدان الإسلامية.

سؤال :

ما هو في نظركم الحل الواقعي للقضية الفلسطينية ومدى تأثير المتشددين الدينيين المدعومين من قبل إيران في ذلك ؟

جواب جلالة الملك :

أعتقد شخصيا أن إسرائيل والفلسطينيين والأردنيين قد عاشوا معا قرونا عديدة بصرف النظر عمن كانت له السيادة، هل العثمانيون أم العباسيون أم الأمويون. لقد عاش الجميع سويا وأعطيت لكل واحد كل حظوظ السلم والرخاء. وبما أنه يسمح في السياسة بتصور سيناريوهات، فلماذا لا يتم التفكير يوما ــ ولا أقول الآن على الفور ـ في تحقيق غاية نبيلة تتمثل في وجود إنسان إسرائيلي فلسطيني أردني. وهذا في رأيي صورة أو تصور ينطوي على الكثير من الجرأة، بيد أن هذا الأمر ليس حلما مستحيلا بل أعتقد أن تحقيقه، ممكن ولكنه يتطلب بعض الوقت.

وفيما يخص قضية الشرق الأوسط، أعتقد أن التشدد الديني الإسلامي لا علاقة له بالموضوع وليس له مكان لسبب بسيط بدءا بالفلسطينيين الذين ليسوا كلهم مسلمين، فالعديد منهم مسيحيون. ولعلكم تتذكرون ـ وقد مضت على ذلك عدة سنوات ـ أن الفلسطينيين ومنظمة التحرير الفلسطينية اقترحوا حلا على الطريقة اللبنانية؛ أي إقامة دولة متعددة الأديان والأجناس. ولا أرى أي دور إيجابي يمكن أن يقوم به التشدد الديني الإسلامي في مجتمع يوجد فيه مسيحيون ويهود من ضمن الفلسطينيين.

سؤال :

لقد فاجأت جلالتكم العالم باستقبالكم شيمون بريز وكان ذلك مبادرة رائدة وفريدة من نوعها، واليوم ينصفكم التاريخ على اعتبار أن الإسرائيليين يتفاوضون حول نفس الطاولة مع الفلسطينيين وقد تأكد اليوم أن مبادرتكم شجاعة. ولكن ماذا عن شامير؟

جواب جلالة الملك :

إنهما شخصان مختلفان. ففيما يتعلق بالسيد شيمون بيريز يمكنني القول، إن إستقبالي له أثار دهشة العالم بالفعل، ولكن الأمر لم يكن البتة خطيرا في نهاية المطاف؛ ذلك أنه ليس لي شيء أتفاوض بشأنه مع السيد شيمون بيريز. فبلدي يبعد عن المنطقة بحوالي ستة آلاف كيلومتر عن منطقة النزاع.

سؤال :

وماذا عن الحوار ؟



جواب جلالة الملك :

أقول نعم للحوار لأنني إنسان يحب الإستطلاع . إنه فضول علمي وسياسي ، لأنني أريد أن أعرف الحقائق . إن المدرسة السياسية التي تربيت في أحضانها لاتحرم الحوار بين الخصوم بل وحتى بين الأعداء ، فإذا أعطى الحوار نتيجة نستمر فيه ، وإذا لم يكن الحوار مجديا نستعد للمعركة . إن مدرستي السياسية وهي مدرسة والدي رحمة الله عليه ، وهي مدرسة الحوار أي الحوار ؛ لكي يتبين ما إذا كانت هناك إمكانية للسلم . فأنا لم أجد سنة **1986** الصدى الذي كنت آمله لدى السيد شيمون بيريز ومع ذلك أعتقد أن هذا اللقاء كان خطوة هامة . أما عما إذا كنت مستعدا للقاء السيد شامير أقول إنني ـ ودون أن أقوم بعمل انفرادي وحتى لا أتحمل مسؤوليات أكثر من التي أتحملها بوصفي رئيسا للجنة القدس ـ مستعد لذلك إذا كانت للسيد شامير اقتراحات إيجابية من شأنها أن ترضي المجموعة الإسلامية وترضينا فيما يخص إيماننا ومعتقداتنا .

سؤال :

كان هذا اللقاء مع بريز عملا ثوريا بين العرب واليهود . فما هي الآفاق الجديدة التي فتحها مؤتمر مدريد الذي شكل منعطفا تاريخيا لتحقيق سلام دائم؟

جواب جلالة الملك :

إن مؤتمر مدريد شكل بالفعل منعطفا هاما ولا أقول منعطفا تاريخيا ، لأن التاريخ هو عبارة عن أحداث يومية ، ويقال دائما إن هذا الأمر أو ذلك يشكل منعطفا تاريخيا . لكن بالنسبة لي فإن المنعطف يبقى مجرد منعطف . نعم قد يكون هاما لتطور التاريخ ومؤتمر مدريد منعطف هام لأنها المرة الأولى التي يجتمع فيها الجميع حول نفس الطاولة . وهذا أمر مهم جدا لأن هناك الكثير من المواضيع التي كان يحرم الحديث عنها . لكن الآن بدأ الحديث يجري حول هذه المواضيع .

فالسياسة كالمخاض كما يقول سقراط . فحينما تبدأ الحركة وحينما يبدأ المخاض ، فإن الجنين لا يصعد إلى بطن أمه بل ينزل والمؤمل هو أن يولد حيا وفي صحة جيدة ، وبالنسبة لي ، فإن الولادة قد بدأت والله وحده يعلم كم ستستغرق هذه الولادة .

سؤال :

إن المغرب يقع جغرافيا في أقصى منطقة المغرب العربي . فهل هذا الموقع هو الذي جعل سياستكم تتميز بالاعتدال ، أم أن سر اعتدالكم يرجع إلى قدرتكم الشخصية على تقييم الأمور بموضوعية وعقلانية ؟ .

جواب جلالة الملك :

تعلمون أن الجغرافيا عنصر حاسم في تكوين شعب وفي تشكيل عبقرية ، ولنأخذ حالة المغرب مثلا ، فالمغرب وجد نفسه في موقع تحده إسبانيا شمالا والأتراك شرقا في الجزائر في فترة من الفترات والصحراء جنوبا والمحيط الأطلسي غربا . إذن فلو كنا بلدا غير معتدل لدخلنا في نزاعات مع جميع جيراننا ، ولكان علينا أن نلقي بأنفسنا بالمحيط . بيد أننا ـ بمواجهتنا لصعاب المحيط الأطلسي من جهة والصحراء من جهة أخرى والأتراك في الشرق والإسبان في الشمال ـ تعلمنا منذ قرون كيف نعيش في وئام مع جيراننا .

ولم يكن ذلك بطبيعة الحال بـالأمر اليسير . قد يقال إننـا غزونا إسبانيـا ، لكن تمكن الإسبان من طردنا من بلادهم ، لكن هذا لا يهم . إلا أننا تعلمنا كيف نتعايش مع جيراننا .

الصحفية : هذا قول حكيم .

جلالة الملك :

هذا صحيح مبدئيا

سؤال :

لقد كنتم جـلالتكم أول قائد عربي وقف إلى جانب الـولايات المتحدة خلال غـزو الكويت من طرف العراق ، وهـذا ما يجعل جلالتكم تحظون بتقـدير كبير وعرفان من طـرف الرئيس الأمريكي . . . وبالتالي هل يمكن القول أن لجلالتكم علاقة متميزة مع الرئيس جورج بوش ؟ .

جواب جلالة الملك :

أود باديء ذي بدء أن أوضح أمرين : أولا هو أنني أعرف الـرئيس بوش منذ 12 سنـة تقريبا . فكل واحد منا يعرف الآخر تمام المعرفة . وأنا أكن له مشاعر التقدير وهو يبادلني نفس المشاعر ؛ ذلك أننا تحلينا دائما بـالروح الرياضيـة والصراحة . إذن فقضية الخليج لم تخلق في نظري هـذه الصداقة فهي كانت قـائمة منـذ أمد بعيـد . وثانيـا أود أن أوضح أنه في منتصف يـوم 2 غشت 1990؛ لما اجتـاح العراق الكويت انعقد مجلس وزاري في الرباط أعربنا فيه بشدة عن إدانتنا لهذا الإجتياح وبعد ثلاثة أيام وصل بعض الضباط المغاربة إلى المملكة العربية السعوديـة للإعداد لوصول القوات المسلحة الملكية في حين أن التحالف العربي لم يتم إلا بعـد عشرة أيام في القاهرة يوم 13 غشت إذا لم تخني الذاكرة ، ولكن الضباط المغاربة كـانوا يوم 8 غشت بـالمملكة العربية السعـودية للتهيىء لوصول القـوات المغربية . إذن ، القوات التي أرسلناها إلى هناك لم تكن لا في إطار التحالف العربي ولا في إطار التحالف الدولي ؛ فإرسالها كان في إطار ثنائي وكـان إلتفاتة تلقائية وفورية من قبل المغرب إزاء المملكـة العربيةالسعودية والإمارات العربية المتحدة .

سؤال :

ألا تعتقد جلالتكم أنه كان بالإمكان تلافي حرب الخليج ؟ .

جواب جلالة الملك :

اعتبارا لما آلت إليه الأمـور كان تقريبا من غير الممكن تـلافي الحرب ؛ ذلك أن الحوار بدأ بشكل متعثـر ، فهو لم يكن حـوارا بالعقـل وعلى أساس المعطيـات الموضوعيـة ، بل كـان حوارا بـالعاطفـة والأهواء .

سؤال :

ألا تخشـون على المغـرب من عـدوى التطـرف الـديني القـوي بكل من الجزائر وتـونس البلـدين الجارين . وماهو مفهوم الإسلام لدى جلالتكم ؟ .

جواب جلالة الملك :

لقـد تفاوتت فترات استمـرار هذه الحركـات كما تفاوتت درجـات العنف التي ميزتها ، لكنهـا كـانت حركـات دينية محضـة يدور عملهـا حـول تفسير الإسلام . ومن الأكيـد أن مانـراه الآن ليس

بالتطرف الديني، إنه تصدير للثورة الإيرانية وبالتالي فهو ليس تطرفا دينيا بل شيئا آخر .

إن من الخطأ الإعتقاد بأن الشعب المغربي يعرف التطرف الديني إلا اليوم .

سؤال :

ألا زالت قضية الصحراء تثير المشاكل بين المغرب والجزائر؟

جواب جلالة الملك :

نعم، إن هذه المسألة لازالت تثير لنا مشاكل ولكن أين هو البلد الذي لا يعرف مشاكل، فجميع الدول لها مشاكل، غير أن مشكلتنا أكثر صعوبة أولا، لأننا لم نكن ننتظره فهو لم يكن متوقعا، وثانيا فهو مشكل بين بلدين جارين وشقيقين. إذا فمنذ 16 عاما ونحن نتعامل مع هذا المشكل.

سؤال :

هل معنى ذلك أن المغرب ربح المعركة العسكرية ضد «البوليساريو» وهل سيشكل الاستفتاء حلا ذا مصداقية يمكن قبوله؟ .

جواب جلالة الملك :

إن هذا الإستفتاء لم يفرض علينا، فأنا الذي طالبت به سنة 1964 في عهد الجنرال فرانكو وهذا أمر يتم نسيانه، كما أن طلب تقرير المصير في الصحراء بالأمم المتحدة مسجل من طرف المغرب منذ 1964. ولقد سجلناه من جديد سنة 1981 لدى منظمة الوحدة الإفريقية ثم لدى منظمة الأمم المتحدة. إن الإستفتاء إذن لا يشكل صفعة أو سبة توجه إلينا فنحن الذين طالبنا به ونحن متمسكون به لكي نبين أن مزاعم خصوم المغرب هي من قبيل الكذب والبهتان.

سؤال :

على عكس ما كانت عليه الصحراء في عهد الإستعمار الإسباني عرفت في عهد الحسن الثاني إنجازات عظيمة حرصا من المغرب على أن يجعل هذه المناطق تواكب التطور التاريخي. هل تفكر جلالتكم في إنجاز مشاريع أخرى إلى جانب تلك التي دشنها السيد إدريس البصري مؤخرا في السمارة والعيون ؟ .

جواب جلالة الملك :

إن المشاريع الإقتصادية في الصحراء التي يتعين إنجازها لا يمكن حصرها لأن الصحراء مؤهلة بالتأكيد لأن تكون مجالا للاستثمارات والتجهيزات الكبرى .

سؤال :

لقد طالبتم وناضلتم منذ البداية من أجل الوحدة الترابية المغربية. هل تعتقدون ـ الآن ـ أن الإستفتاء المنظم من طرف هيأة الأمم المتحدة سيحقق أمنيتكم هذه ؟ .

جواب جلالة الملك :

إن تلك الأمنية ستتحقق لأنها هي الحقيقة، وأنا أومن دائما بالحقيقة. والحقيقة هي التي ستنتصر في نهاية المطاف. وفضلا عن ذلك لا أرى حلولا حيوية أخرى لسكان الصحراء. فمن الناحية الواقعية لا أعتقد أنه بالإمكان تحقيق تطور الصحراء وسكانها سوى مع المغرب. فليس هناك سبيل

آخر .

سؤال :

إن الدار البيضاء تمثل الآن بالنسبة للمغرب العربي ما تمثله بروكسيل بالنسبة للمجموعة الإقتصادية الأوروبية . هل لكم ياصاحب الجلالة ــ بصفتكم رئيس إتحاد المغرب العربي ــ مبادرات ملموسة وفورية كفيلة بأن تدعم التقارب بين الدول المغاربية والدول الأوروبية المطلة على البحر الأبيض المتوسط .

جواب جلالة الملك :

إن ذلك أمر ضروري بالتأكيد . إن قيام المجموعة لم يتم بين عشية وضحاها ، والمغرب العربي كذلك لن يقوم بين عشية وضحاها . إن ذلك يتطلب الصبر وبعض الوقت ، لكن من الأكيد أن المغرب العربي وأوروبا سيلتقيان في يوم من الأيام . وليتم تحقيق هذا التلاقي لابد ـ في بداية الأمر ـ من همزة وصل بين المجموعتين . ولذلك فكرنا بأن الدول المتوسطية كالبرتغال وإسبانيا وفرنسا وإيطاليا بالإضافة إلى مالطا التي انضمت لهذه الدول مؤخرا تشكل أفضل جسر بين المغرب العربي وأوروبا الموحدة ، لأن البلدان المتوسطية تفهم جيدا المغرب العربي اعتبارا للعوامل الجيوسياسية والتاريخية واعتبارا للتقاليد .

سؤال :

صاحب الجلالة ، هل ترون أن مشاكل المغرب تأتي من كونه خضع لاحتلال إسبانيا وفرنسا ؟

جواب جلالة الملك :

لقد كانت هذه هي مصيبتنا ، فلو كنا خضعنا لمستعمر واحد لعالجنا جميع مشاكلنا في نفس الوقت . لكننا كنا نخضع لاحتلالين بموافقة ثلاث قوى أخرى وكان علينا والحالة هذه ، انتظار رحيل فرنسا ورحيل إسبانيا من الشمال وبعد ذلك طلبنا من القوى الأجنبية الإنسحاب من طنجة لأنها كانت تخضع لاحتلال دولي . وفي مرحلة ثالثة ، طالبنا إسبانيا بأن تعيد لنا طرفاية وبعدها سيدي إيفني وبعد ذلك جاء نزاع الصحراء .

فمأساتنا ناجمة عن كوننا خضعنا لاحتلال بلدين في نفس الوقت ، لأننا لو خضعنا لاحتلال بلد واحد لصفينا جميع نزاعاتنا دفعة واحدة .

سؤال : كيف تتطور الديمقراطية في بلد كالمغرب الذي يأخذ بنظام الملكية الدستورية ؟ .

جواب جلالة الملك :

إن مجرد استعمالكم للفظة دستورية يعني أن هناك ديمقراطية . لقد كان بمقدورنا أن نقول أن المغرب ملكية وكفى . لكن أضفنا لفظ دستورية .

وهكذا أصبحنا نقول عن أنفسنا إننا دستوريين فلدينا عدة أحزاب وعدة نقابات وهناك لامركزية وحريات عامة ، كما أننا نتمتع بحرية الصحافة وحرية الإجتماع . وهذا مانسميه بالنسيج الديمقراطي . وإذن ، فالديمقراطية والدستور أمران لا ينفصلان . وقد كنت سأفهم طرحكم للسؤال



لو اكتفى بالقول بأن المغرب ملكية ، لكنكم تقولون إن المغرب ملكية دستورية ، وهذا يعني أنه ملكية دستورية تتوفر بها عناصر الديمقراطية ؛ ربما كانت غير كافية بالمقارنة مع ديمقراطية بلدان الشمال أو ربما كانت أكثر مما هو موجود لدى بعض الأنظمة العربية أو حتى الأوروبية .

فالملكية والدستور والديمقراطية هي نمط عيش مثل الحياة الزوجية ، إذ عندما يتزوج رجل وامرأة ، فإنهما يكونان دستورهما ويحسنانه باستمرار كما يحسنان نمط عيشهما . إن الدستور والديمقراطية شيئان قابلان للتحسين شريطة أن لا يفتح الباب للديماغوجية . وهذا أمر مهم جدا .

سؤال : هل يوجد في سنوات حكم جلالتكم نجاح ما ، ظل في خاطركم وماهو؟ وهل هناك قضية ماظلت تؤرق جلالتكم ؟

جواب جلالة الملك :

كثيرا ما طرحت على نفسي السؤال حول ما هو الشيء الذي سأقوم به وماهو الشيء الذي لن أقوم به ، لو أتيح لي أن أبدأ من جديد . لكن تبين لي أنه سؤال لا ينبغي طرحه ، ذلك أن الحاضر هو وليد الماضي و المستقبل هو وليد الحاضر ؛ فنحن مسيرون . لقد اعتدنا القول ؛ لقد سافرت أو أبحرت ولكن حقيقة الأمر في النهاية هي أننا لسنا أحرارا تماما لكي نبحر كما يحلو لنا . وإذن ، فإن كل ما بمقدورنا هو أن نبقى مبحرين ونتمنى أن تجري الرياح بما نشتهي . وإذا كنتم ترغبون في أن أواصل حديثي أقول لكم شيئا أخيرا ؛ من حين لآخر ، يبلغ مني التعب درجة أتمنى معها لو كان ممكنا أن أتخلى عن مهامي وأخلد إلى الراحة .

13 جمادى الأولى 1412هـ - 21 نونبر 1991م